نبوءة العرّافة

للشاعرة
فدوى طوقان

- ١ -

حين بلغت عامي العشريـن
قالت لي العرافة الدهريه :
(تنبؤني عنك الرياح في هبوبها تقول
تعويذة الشرّ المحيق ههنـا
ببيتك المهلهل المشطـور
معقودة تظل لا تـزول
حتى يجيىء الفارس المكرّس المنذور

تنبؤني الرياح في هبوبها عن فارس يجيىء
لا واهنـا ولا بطيىء
تقول لي يجيىء من طريق
تشقها من أجله الرعود والبروق)

ـ هلا سألت لي الرياح يـا
عرافة الريـاح
متى يجيء الفارس المنذور
ـ(حين يصير الرفض
محرقة وجلجله
تلفظه احشاء هذي الارض
من جسمها بضعه
لكنما الرياح في هبوبها
تقول حاذري
اخوتك السبعـة
تقول حاذري
اخوتك السبعـة
تقول حاذري
اخوتك السبعة)

* * *

تحت شقوق سقفي المهلهل المصدوع
وقفت عند الشرفة المخلعه
احلم بالتكويـن
انتظـر الآتي
اصغي لنبض البذرة الدفين
يخض رحم الارض
يرضع قلب السنبله
يا كيمياء الموت والحيـاة
متى يصير الرفض
محرقـة وجلجله ؟!

- ٢ -

كانت خطاه حين جاء جرسا
يقرع في اقبيـة الظلام
والريح كانت حين جاء فرسا
تركض تحته وتنفض الحطام
اردفني وراءه وقال يا حبيبتي
حبك يحمي ظهري العريـان
التصقي بي ، لا تخافي الليـل والذؤبان
فالحب لا يخـاف

. . . . . .
. . . . . .
. . . . . .

يوم امتطيناها ظهور الخيل
راحت اغانينـا
تومض مثل الخنجر العريـان
على ضفاف الليـل
. . . . . .
على ضفاف الليـل
تسامقت اشجارنا واطلعت
الزهر والاثمار والنجـوم
وكلما نجم هوى
في موسم الاعصار والسموم
انتفضت اشجارنا واطلعت
سـواه افواجا من النجوم

* * *

يوم امتطيناها ظهرر الخيل
تجوهرت جباهنا في الشمس
تعصّبت بالعنفوان
صرنا الرؤى تلمها الاجفان
صرنا زهـر
على شفاه السهل
والغور والنهـر
واصبحت هدب الصغار
راياتنـا

يوم تفتّحت عيونهم على
وميض اغنياتنـا
صوت داخلي ـ
« لكنما الرياح في هبوبها »
« تقول حاذري »
« اخوتك السبعة »
« تقول حاذري »
« اخوتك السبعة »
« تقول حاذري »
« اخوتك السبعة »
ـ لوآنا نطامـن من صوتنا
ونكبح هذا الهيـاج
ولو نتوارى ونمشي رويدا رويدا
وراء السيـاج
فلي اخوة يا حبيبـي غير
لو ان القمـر
يعود الى كهفه في الجبال ويرخي السّتر
أخاف الضياء يشي يا حبيبي بنـا
فان كلاب الطراد على دربنـا
تجنّ اذا برقت في الظلام نصال القمر

* * *

ـ حبك يحمي ظهري العريـان
التصقي بي ، لا يكون الحب يا حبيبتي جبان
صوت داخلي :
« لكنما الرياح في هبوبها »
« تقول حاذري »
« اخوتك السبعة »
« تقول حاذري »
« اخوتك السبعة »
« تقول حاذري »
« اخوتك السبعة »

ـ ٣ ـ

قابيل الاحمر منتصب في كل مكـان
قابيل يدق على الابواب على الشرفات على الجدران
يتسلق يقفز يزحف ثعبانا ، ويفحّ بألف لسان
قابيل يعربد في الساحات ، يلف يدور مع الاعصار ـ
يسدّ مسالـك
ويشرّع ابوابا لمهالـك
يحمل في كفيه غسول الدمّ ، توابيت النيران
قابيل اله مجنون يحرق رومـا
والموت كبيـر يتنامـى
صفصافة بلّلور احمـر
يسقيهـا القابع في « المخفر »
فتمـدّ تمـدّ تمـدّ
تمـدّ وتنتشر الاغصان
وعلى الافـاق على الطرقات
على العتبات على الحيطان
اوراق اللهب ترقصها ريح الشيطان
الموت كبير يتنامى
في كـل مكـان
الموت وقابيل الاحمر
في كـل مكـان
. . . . . .
. . . . . .
مددت نحوهم يدي
ناديت في حزني وفي نحيبي
يا اخوتي لا تقتلوا حبيبي
لا تقطفوا العنق الفتيّ
سألتكم بالحب ، بالقربى سألتكم وبالحنان
يا اخوتي لا تقتلـوه
لا تقتلـوه
لا تقـ ....
. . . . . .
. . . . . .

ـ ٤ ـ

حين استراح الموت
وعرّشت حولي غصون الصمت
حنوت فوقه أنوء بالاسى
امسح صدره المهشّم الضلوع
امسحه بالحب والاحزان والدموع
للمتهـا اشلاؤه المبتّلـه
بالدمّ والدّخان والحصى
للمتليـل غابة الشّعر
والشّفة التي تمزقت كما الزّهر
وماستي عينيـه
(واها ! كانت العينـان ـ
تثقبان غابة الظلام ، كانتا
مستودع الرؤيا وموطن الحلم)
للمته شلوا فشلوا ، باقة من الزهر
اسلمتها الى الرياح
وقلت يـا ريـاح
هذى شظاياه انثريهـا في السفوح والقنن
وفي السهول ، في ثنايا الغور ،في مسارب النهر
خذيه وانثريه عبر كل ساحة الوطن !

ـ ٥ ـ

يشدني ايلول
الى شقوق بيتي المهلهل المشطور
ولم تزل عرافة الريـاح
تطرق بابي الحزين كلما تنفس الصباح
تقول لـي :
(حين تتمّ دورة الفصول
ترجعه مواسم الامطار
يطلعه آذار
في عربات الزهر والنوّار)

نابلس

فدوى طوقان